

## الحجاج بين التركيب والدلالة

### من خلال قراءة حجاجية للباب السادس من كليلة ودمنة

الدكتور عز الدين الناجح

جامعة تونس - الجمهورية التونسية

ترتد هذه المحاولة إلى مشروع أكبر قد شرعنا في الاشتغال عليه منذ 2004 ثم تعمقنا فيه بصيغة أنضج في 2010 ثم استوى على سوقه في 2014. وملخص هذا المشروع أن الوظيفة الحجاجية في اللغة وظيفة مركزية مهمة جدًا لكن ليس على النحو الذي قال به ديكر و صاحبه انسكومبر منذ 1981 إلى ما قاله "ريبولو موشلار" اليوم 2012. فهذا المشروع يثبت أن الوظيفة الحجاجية للغة هي وظيفة من الوظائف المركزية في اللغة. ولكن مركزيتها وأهميتها لا يجب أن تحجب الوظائف الأخرى مهما كانت درجتها ولا ينعتمها بالهامشية والثانوية / secondaires / parasitaires (انسكومبر، 1987).

الكلمات المفتاحية: الحجاج؛ التركيب؛ الدلالة؛ الوظيفة الحجاجية؛ الوظائف المركزية.

#### Argumentation between Structure and Significance

#### through an Argumentative Perusal of the sixth chapter of Kalila and Dimna

**Abstract:** This attempt reverts to a more important project we have started working on since 2004, and then we delved into it in a more mature form in 2010 and then leveled its market in 2014. The summary of this project is that the argumentative function in the language is a very important and central one, but not as stated by O. Ducrot and his friend J-C; Anscombe since 1981 to what Ripol Michler said today 2012. This project proves that the argumentative function of language is one of the central functions. But its centrality and importance should not obscure the other functions, regardless of their degree, nor characterize them as marginal and secondary / parasitical (Anscombe, 1987).

**Keywords:** Argumentation, synthesis, significance, argumentative function, central Functions

\*مقدمات الانطلاق: (1)

\*مقدمة أولى في الطرح النظري: إن قولنا بحجاجية وظيفة اللغة يعضده أصلان

ابستمولوجيان: الأول يعود إلى مفهوم المقاصدية والمقصد /l'intention/l'intentionnalité، وإن

---

تاريخ تسليم البحث: 15 أفريل 2017.

تاريخ قبول البحث: 01 نوفمبر 2017.

العلاج بين الترتيب والدلالة من خلال قراءة مجازية للباب السّادس من تحليل وخدمة — مجلة نصل (الطاب  
شئت قلت مفهوم الغاية والغائيّة fin/finalité، والثاني يعود إلى مفهوم البنية structure  
والجهاز systeme في الدّرس اللّساني.

فأمّا الأصل الأوّل فإنّه يبرّر حجاجيّة اللّغة من زاوية أنّ نشاط الفرد اللّغوي تحكمه  
غاية ومقصديّة محدّدة. فالمتكلّم ما تكلم إلا لغاية ما. ومهما تكن هذه الغاية ومهما يكن هذا  
المقصد فإنّ التّواة الصلبة لهذه الغاية من الإنجاز اللّغوي إنّما هو الحجاج... طبعاً لسنا في  
حاجة إلى التذكير بأنّ المقصد الأسنى والغاية الأولى هي الحجاج. مثلما قال بهذا ديكر  
وانسكومبر عندما اعتبر أنّ الوظيفة الحجاجيّة هي الوظيفة المركزيّة من اللّغة وأنّ الوظائف  
الأخرى مشتقّة dérivés عن هذه الوظيفة. فمفهوم المقاصديّة والغائيّة باعتبارهما أصليين  
ابستمولوجيين في طرحنا يجعلان من الوظيفة الحجاجيّة في اللّغة وظيفة ثابتة قارة مصاحبة  
لكلّ الوظائف الأخرى دون أن تنفمها أو تهتمشها. وذلك لأنّ المتكلّم وهو ينجز ملفوظاً أو محادثة أو  
حتى خطاباً سواء أكانت هذه الإنجازات شفويّة أم مكتوبة، بل نزعاً أنّ هذا الطرح يصدق حتى  
على الخطابات الإشاريّة ذات الأبعاد السّيميائيّة في الدّرس، فإنّه بإنجازه يرمي إلى غاية/هدف  
محددة وغايات ثانوية مصاحبة / objective ciblé spécifique/ vs objective.non ciblé/  
associé. تكون الغاية المحدّدة المستهدفة ابلاغية إعلاميّة informative وقد تكون وصفيّة  
تعينيّة denotative/descriptive. وقد تكون إنشائيّة شعريّة poétique إلى غير ذلك من وظائف  
اللّغة السّت. وأمّا الغايات الثّانوية المصاحبة فهي الغايات الحجاجيّة والإقناعيّة والسجاليّة<sup>(2)</sup>.  
كما يمكن أن تكون هذه الوظائف fonctions وهذه الغايات fins/buts التي اصطلحنا عليها  
بكونها "مصاحبة" para وثنائية، هي الوظائف المركزيّة الأساسيّة من الإنجاز اللّغوي وذلك وفق  
مطابقة الأقوال للمقام وسياق الإنجاز اللّغوي. ولكن المحصل من هذا أنّ المقاصديّة باعتبارها  
أصلاً ابستمولوجياً مطبقاً على الإنجاز اللّغوي ينصف الوظيفة الحجاجيّة للغة فيجعلها مرّة  
الوظيفة المركز ومرّة وظيفة مصاحبة. عكس ما ذهب إليه عديد الدّارسون (انظر شكري  
المبخوت، الطاهر بن يحيى). عندما الحّوا على عدم مركزيّة الوظيفة الحجاجيّة وهم بهذا  
يناقشون ديكر. وإن كان هذا التيّار قد ناقش ديكر فإنّه لم يقترح بديلاً... وفي كلمة فإنّ  
الحجاجيّة في اللّغة مركوزة كمون النّار في الحجر والحطب لكنّ تجلياتها وظهورها يحكمه  
معطيات paramètres في إحداثيات reperes معيّنة. وإلا ف"لماذا يقول المتكلّم ما قال؟" ولماذا ينجز  
المتلقّظ ملفوظه؟ ولماذا يكتب الكاتب خطابه ونصّه؟ فما كتب كاتب وما تلقّظ متلقّظ وما  
تحدّث متحدّث إلا لمقصد سواء أكان هذا المقصد منشداً إلى الوظيفة المركزيّة أم كان منشداً  
إلى الوظيفة المصاحبة. وإلا ما نجاعة الإنجاز اللّغوي والإنتاج الكلامي؟..

وأما الأصل الثاني، الذي كنّا أشرنا إليه في مقدمة المقاربة، باعتبار أنّ حجاجية اللّغة يعرضها أصلان ابستمولوجيان، فهو أصل بنيوي جهازي *structurale et systematique* والحقيقة أنّ القائل بهذا الأصل من قبلنا هو ديكر و انسكومبر وديكر و بدرجة أكثر عمقا عند توقّفه عند "بنيوية الخطاب المثالي" *structuralisation du discours ideal*. وملخص الأصل الابستمولوجي الثاني أنّ حجاجية الإنجاز اللّغوي مركوزة في البنية المجردة سواء أكانت هذه البنية تلفظية أم محادثية أم خطابية. وذلك مثلا من خلال مبحثي السلمية والانسجام والاستقلالية *l'autonomie*. فالوظيفة الحجاجية لأيّ إنجاز لغويّ تشي بها البنية المجردة وشاية ضمنية قبل أن يفضحها الإنجاز المجسد في المقام المخصوص والسّياق الأخص ويمكن أن تضرب مثلا أوليا بمسألة الملفوظ المشحون في القوة الاسمية والملفوظ المشحون في القوة الفعلية. أو القضية المنخلة في قوة إنشائية والقضية المنخلة في قوة خبرية. وقد أشار اللّغويون القدامى إلى مثل هذه المسائل من مثل ما نجده عند التوحيدي (310هـ إلى 414هـ) وعن التوحيدي<sup>(3)</sup> أخذ الجرجاني عبد القاهر (توفي سنة 471هـ). في مناظرة السّيرافي اللّغوي لمتى بن يونس المنطقي. وغيرها من المناظرات الفكرية التي يحفل بها التراث العربي القديم. ولعلّ

* خبر إنكاري	والله لقد ضرب زيد صالحا ضربا مبرحا.
* خبر طلبي	ضرب زيد صالحا ضربا.
* خبر ابتدائي	ضرب زيد صالحا.

أهمّها ما يدور حول درجات الخبر ومراتبه وسلميته من الإبتدائي (العريان من المؤكّدات) إلى الطلبي (القائم على مؤكّد واحد)، إلى الإنكاري (القائم على أكثر من مؤكّد). فالقضية في هذه الأخبار واحدة لكنّ القوة متغيرة بتغير الاستعمال والمقام. ويمكن للشكل التالي بيان ذلك ويوازي هذه الخطاظة، لو طبقناها على مسألة الزمن ببعديه المظهري والجيهي، خطاظة أخرى في نوع الخبر الذي ينقسم إلى ثلاثة أقسام. الخبر الحقيقي والخبر الاحتمالي والخبر

* خبر اعتباري	سيجيء زيد.
* خبر احتمالي	قد يجيء زيد.
* خبر حقيقي	جاء زيد/ لم يأت زيد.

الاعتباري. فالخبر الحقيقي هو أنّ يثبت المتكلم أمرا غير واقع قبل الكلام ولكن المتكلم شكّ في

المجاج بين التّركيب والدلالة من خلال قراءة مجازية للباب السّادس من حليلة ودمنة — مجلة نصل (الطاب) وقوعه والخبر الاعتباري هو خبر لم يقع ولكن المتكلم متيقن من وقوعه ويمكن للشكل التالي بيان ذلك :

إنّ هاتين الخطاطتين، هما مجرد ضرب مثال أولي، على الأصل الاستيمولوجي المتعلق بالجانب البنيوي الجهازي المبرهن على حجاجية اللّغة يكشفها الانجاز بعد ذلك. في تراتبية وسلمية يقتضيها المقام تقديمًا وتأخيرًا نحويًا وبلاغيًا وحسن ترتيب للحجج وفق إستراتيجية محدّدة يصوغها المتكلم وفق مقاصدية محددة أيضًا:

إنّ هذين الأصلين الاستيمولوجيين، اقصد الأصل الأوّل المتعلّق بمقولة المقاصدية الانجازية المرتبطة بالمتكلم المنجز والأصل الثّاني المتعلّق بمقولة البنيوية المركوزة في اللّغة باعتبارها جهاز تحكمه بنى مجرّدة وقوانين منظّمة في الاشتغال الدّخلي وفق مقولة السّلمية (انظر ديكر و 1980/ عزّالدين النّاجح 2010).، هما ما سنصادر بهما على رصد العلاقة بين الحجاج والبنية والدلالة معتبرين أنّ الحجاج هو بنية من جهة كونه يفرض ضربًا خاصًا من العلائق الذهنية بين المحتويات القضية للملفوظ. وهو دلالة أيضًا باعتباره نتيجة لتلك البنى العقلية التي ينتجها المتكلم في عمليته الحجاجية. فلا حجاج خارج البنية والتّركيب ولا حجاج من دون دلالة مستهدفة وهادفة تقبع في الافضية الذهنية les espaces mentaux للمتكلم....

## \*2 مقدّمة ثانية في مخبر الطرح:

الخطاب الذي سنختبره، وسنختبر به منوالنا النظري هو من جنس من أجناس الخطاب الأدبي القديم. وهو عبارة عن نص<sup>(4)</sup> من مدوّنة كبرى هو كتاب كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفّع. وقد وقع اختيارنا على الباب السّادس الموسوم بـ "الفحص عن أمر دمنة" (عبد الله بن المقفّع، كليلة ودمنة، منشورات دار مكينة الحياة، بيروت، ص 198- ص 233، د.ت.). واختيار النصّ كان اختيارًا بريئًا إيمانًا منّا بأنّ نجاعة المنوال الذي نقترح تمكنا من تطبيقه على أي نشاط لغوي انجازي سواء أكان تلفظيًا أم خطابيًا أم محادثيًا. والحقيقة أنّ نجاعة أي منوال علمي إنّما تشهد على صدقيتها مرونتها في الاختبار....

وإن كان النصّ المختبر بشهادة العامّة قبل الخاصّة من أهل الاختصاص يقوم على الحجاج الصراح والصریح. لأنّه بكلّ بساطة هو عبارة عن محادثة كبرى لإدانة دمنة أو تبرئته من وشاياته وكذبه على شترية الذي قُتل ظلما. وهو، أي النصّ، إن شئت قلت عبارة عن محاكمة أخلاقية جزائية لدمنة. وفي كلمة فإنّ النصّ بحقّ هو عبارة عن لحظة مفصلية في الكتاب كلّ وهو قراءة اجتماعية سياسية نفسية أخلاقية لوضع معيّن يصدق على أوضاع موازية له في تاريخ البشرية وكفى إنسانية النصّ أن تبرهن عليها حجاجيته المتراوحة بين قطبي التّركيب والدلالة. وفي سبيل تحقيق هذا الهدف العلمي نقترح ثلاث مراحل في مقارنة النصّ:

المرحلة الأولى نصطلح عليها بمرحلة الاستكشاف ومرحلة ثانية نسميها بمرحلة الاكتشاف ومرحلة ثالثة نسميها مرحلة الانكشاف.

وهذه المراحل الثلاث هي مراحل أساسية واجبة وغير كافية في تحليل الخطاب والمفوض والمحادثة على حدّ السواء. وقد أشرنا إليها منجّمة وبتسميات مختلفة منذ 2004 في أبحاث متعددة اجرينا عليها منوالنا مختبرين أغلب الأجناس والأنواع الأدبية في اللغة العربية. ولكي نذكر القارئ الكريم أنّ هذه المصطلحات مجتمعة إلا في هذا البحث، فقراءة الاستكشاف ممهّدة الانكشاف والحدود بينهما واضحة جليّة وهذا برهان على علميتها وتقنيتهما اللسانية وقبل أن نجري ذلك النصّ موضوع الاختبار يمكن أن نقدّم رائزا علميًا من خلال تطبيقها على المفوض والمحادثة حتّى يتبيّن لك أنّ ما يصدق على الجزء يصدق على الكلّ وأنّ "الجبل ليس بأدلّ على الله من التّملة" ممّا يصدق على المفوض يصدق على الخطاب  
\*إنّ الطقس حارّ.

– قراءة الاستكشاف: هو قضية المفوض: الحديث/ إثبات حرارة الطقس.	↑
– قراءة الاكتشاف: هو قوّة المفوض/ التأكيد على حرارة الطقس وهو عبارة عن جواب عن سؤال: كيف قال المتكلم قوله في اللغة باللغة؟. وهذه القراءة تعولّ على المعارف اللسانية المحض وعلى الكفايات التواصلية التي يملكها المخاطب ومجمل المحادثة عامة.	
– قراءة الانكشاف: هو قصدية المفوض وغايته وهو عبارة عن جواب: لماذا قال المتكلم ما قال؟ وماهي الخلفية التي تجعله يقول ما قال؟ وهذه القراءة يعولّ فيها المحلل على الكفاية الموسوعية التي يملكها حتّى تيسر له فهم اللّمية.	

هذا إذن على سبيل الإجمال ما أردنا من القراءات الثلاث وستأتي مفصّلة ومنجّمة في ثنايا هذه المحاولة.

\*مرحلة الاستكشاف: نقصد بقراءة الاستكشاف ومرحلته ما يمكن أن توفره القراءة الخطيّة المحوريّة lecture diagonal الأولى للنصّ من إشارات indices وعلامات، تكون من مقولات مختلفة إشارات تركيبية بنيوية وعلامات دلالية مضمونية، تكوّن أوليات البرهنة على حجائية النصّ. ومرحلة الاستكشاف أيضا هي عبارة عن الحركة التقبلية الأولى في علاقة المتقبّل بالنصّ. وهي في كلمة ما يمكن أن يبقى في ذهن المتقبّل من الدلالات والخطاطات المتعلقة بإستراتيجية بناء النصّ. ولوطبقنا هذه المحادثة لقلنا إنّ مرحلة الاستكشاف periode d'exploration هو ذلك الأثر الذي يتركه المفوض/ المحادثة في أذن/ عقل المخاطب بمجرد إنهاء المحادثة. ونظرا لأنّ اللسانيات لا تؤمن بالميتافيزيقيا لأنّها من العلم الصريح فإنّها تطلب منّا هنا

المعاج بين الترتيب والدلالة من خلال قراءة مجازية للباب السادس من تحليلة ودمنة — مجلة نصل (الطاب) برهانا علميًا دقيقًا للتدلال على علمية مرحلة الاستكشاف. وعليه فإننا نجيب على هذا السؤال بقولنا: إذا كان لكل شيء أداة وآلة ومعياري يقاس به ويكال فإن مرحلة الاستكشاف لها أدوات خاصة ومعايير تقاس بها نجاعتها. وهي على ضربين أولهما الميزان اللغوي المتعلق بالوحدات المعجمية والبنى التركيبية والصيغ الصرفية والمسائل الإيقاعية بأنواعها، فهذه العناصر كلها هي ممّا يبرهن بها على نجاعة قراءة الاستكشاف لأنها من باب الفيزيائي الذي يفرض نفسه من الوهلة الأولى على المخاطب وثانها الميزان الدلالي الذي هو عبارة عن نتاج الميزان الأول وهو عبارة عن الأثر المبدئي، أو لنقل الانطباع بما في الانطباع من انطباعية...، في نفس المخاطب والمتقبل عامة.

ولو أجرينا هذا الكلام على النص موضوع الاختبار. أي "باب الفحص عن أمر دمنة" فإنه يمكن القول في شأنه إنه نصّ سرديّ بامتياز حجاجي المقصد لاعتبار هو أنه يمثل محاوراة كبرى بين طرفين، وبين قيمتين وجهازين مفهوميين مختلفين. وتوفّر قراءة الاكتشاف أيضا المفصلات الكبرى التي يقع فيها النصّ. فالنصّ قسمان كبيران:

القسم الأول: ويمتدّ من بداية النصّ إلى قوله "حجّته التي احتجّ بها": وهذا القسم هو ما يصطلح عليه في المقاربة الإنشائية لصاحبها تودوروف بالقصّة الأمّ أو القصّة الإطار من الدرجة أولى وهي في تصوّرها إطار المحادثة الخارجي الذي يساهم في حجاجية الجنس، جنس الحكاية المثلية، من خلال مقولة المقاصدية والتأطير بأبعاده اللغوي، الاجتماعي والنفسي... الخ. وأما القسم الثاني فإنه يمتدّ على بقية النصّ، أي من قوله "قال الفيلسوف" إلى نهاية النصّ. وعن هذا القسم تنحدر أقسام صغرى هي بمثابة المفصلات التي تيسّر لنا عملية الاكتشاف في ما سيأتي من البحث. وهذه الأقسام هي:

القسم الثاني: من "قال الفيلسوف" ← ولكنهم قد نهوا عن اغتفار الجرم العظيم والذنب الكبير" وفي هذا القسم يقدّم ابن المقفّع القصّة الإطار، درجة ثانية تمخّضت لتقديم الإطار العام للمحادثة مع تقديم للشخصيات في المحادثة بدرجاتها وطبيعة العلائق التي تجمعها. وبما أنّنا في مرحلة قراءة الاستكشاف فإننا لا نعرف من هذه العلائق شيئا سوى كونها علاقات تواصلية لغوية دون أن ندرك حقيقتها. وهذا القسم في حدّ ذاته ينقسم إلى ستّة مفصلات متكاملة يحقق تراكمها وتكاملها انسجام النصّ وحجاجيته.

\*مفصل أول: "إني وجدت في حديث دمنة ← اغتفار الجرم العظيم والذنب الكبير".

وعنوانه: في إعداد ملف القضية والتّمهيد لجلسات المحاكمة.

\*مفصل ثان: وحدوده، فلما قصّت أم الأسد ← وانطلق به إلى السّجن.

ملايسات دخول دمنة إلى السّجن ونجاحه في محاكمة الملك بعدم قتله.

وعنوانه المفصل: الجلسة في المحكمة الابتدائية.

\*مفصل ثالث: وحدوده، فلما انتصف الليل أخبر كليلة ← ورجع كل واحد إلى منزله. استدعاء دمنة للمحاكمة ثانية ونجاحه في محاكمة محاجة القاضي بعدم إصدار حكم بقتله. وعنوان المفصل: الجلسة في محكمة الاستئناف.

\*مفصل رابع: وحدوده، ثم إن شعيرا يقال له روزبة ← فلما سمع القاضي ذلك من لفظ دمنة نهض فرفعه إلى الأسد على وجهه.

نجاح دمنة في محاجة قاضي القضاة وعدم إصدار عقوبة الإعدام في حقه. وعنوان المفصل هو: الجلسة في محكمة التعقيب وإحالة القضية إلى الديوان الملكي لبيت فيها الملك بعد أن فشل الجهاز القضائي كله في المحادثة الحجاجية مع الثعلب دمنة.

\*مفصل خامس: وحدوده، فنظر فيه الأسد فدعا أمه ← هذا جزاء من يسعى بين الملوك وبين أجنادهم وبطانتهم بالكذب والبهتان. إعادة قراءة الملف وإجراء المداولات النهائية وإصدار قرار بقتل دمنة من دون حضوره وتزكية الشهود للقرار.

\*مفصل سادس: وحدوده بقية النص

وعنوان المفصل هو: النتيجة الحجاجية الختامية. وهي ختامية داخلية وخارجية في الخبر والخطاب في الزمان وفي المكان.

إن ما توقّره قراءة الاستكشاف، للقارئ عامة ولمحلل الخطاب خاصة مهما كان الخطاب ونوعه وجنسه وما يمكن أن توقّره لمحلل الملفوظ ومحلل المحادثة خاصة، هو الإطالة الأولى على المنجز اللغوي. وإن شئت قلت إنها توقّر له تناولا مقوليا عاما يجعله على بينة بالملفوظ وبالخطاب وهي قراءة تجعله يطلق أحكاما عامة تعود إلى المقولة *catégorie* لا إلى النوع ولا إلى الجنس ولا إلى الذات. وعليه فإنّ قراءة الاستكشاف هي الدرجة الأولى من تقبل الخطاب فإذا كان هذا التقبل سليما من اللحن فإنّ مرحلة الاكتشاف ستكون موفقة وإن كان تقبلا خاطئا مرتبكا ومشوشا فإنّ مرحلة الاكتشاف ستكون غير موفقة وساقطة في التأويل الغلط، وفي كلمة فإنّ مرحلة الاستكشاف هي اللقاء الأوّل بين المحلل والخطاب وهي ردّة الفعل الأولى التي ستكيّف علاقته به في لاحق المراحل.

ولو أجرينا هذا الكلام وما سبقه في مرحلة الاستكشاف على سبيل الاختبار على باب "الفحص في أمر دمنة" لقلنا، إنّ النص موضوع الاختبار عبارة عن حكاية مثلية يقصّها فيلسوف على ملك جاءت سرديا وفق تقاليد جنس في الكتابة معروف له سننه وتقاليده وهو الخبر. محكوم إنشائيا بثنائيتة القصّة الأمّ أو القصّة الإطار ومنها تفرّغت الحكاية المثلية

العلاج بين الترتيب والدلالة من خلال قراءة حجاجية للبأب السأءس من ءللة وءمنة — بلة نصل (الطأب بأقسامها الءمسة المءءاملة المنسءمة. فمها ساق الرأوي قصة مءاءمة الءعلب الءي ءاء للءور شءربة ءءى بءءله الأسد (...).

وآسب القراءه الاسءءشافية فإن المءاءمة مرء على مراحل وصاحبها آهئيات، لا نستطيع في هذا المقام أن نءوض فمها لأنها من مقتضيات مرءلة الاءءشاف، ءما صاحبها ءءولات آذرية آاصة ما ءعلق منها بالءانب المءاءئي الءواري الءي في ما نرى. أنه لا يمكن الوقوف على آهئءه و مغازيه إلا في مرءلة الاءءشاف لأنه هو الءاشف عن آهئقة العلاءة بين أطراف المءاءة.

#### \*مرءلة الاءءشاف:

هذه مرءلة وسطى في الوقوع على آجاجية الءص بين ءركبءه وبنبوءه المؤءدان إلى ءلائلها الآجاجية. وهي مرءلة مسبارية scanographique ، ءمكن المءل من الغوص والءعمق بصورة آلية وواضءة في أعماق المنءز اللعوي وبعون هذا ءءناول عن قصءية ءربء المءءم بءطابه. فمرءلة الاءءشاف آئنء هي مرءلة بءاءة الءزم بءون مءل الآطاب ءء ءصءل على مفاءيح السراءب الءءءية المءءمة والمسؤولة عن إنءا الآطاب ونء فصوص معانیه. ولهذه القراءه آليات وروائز ومعابیر لسانیة أساسها الءانب الءهازی البنبوی المءعلق بإسءراآءية صوغ الآطاب وبإصءلاح ءارون ما ءعلق بءعءل الآطاب régulation du discours (انظر ءون ءارون، 1995).

وفي هذه القراءه نءءر انءلاق من مصادرة: هي أن لءل الآطاب نءو وءلالة grammaire vs sémantique. وأن هءین المءونین هما ما بضم ن اسءءلالیة autonomie وانسءامه. وأن الاسءءلالیة والانسءام هما الضامن لصلآ القصءية الآطابية intentionnalité discursif. وعلیه فإننا في هذه المرءلة نقرأن في ءل الآطاب أربعة عناصر، عناصر ن بعودان لنءوه أي لنءو الآطاب وعناصر ن بعودان إلى ءلالءه، وهذه العناصر هي:

1- العنصر الرابءی الآجاجی أي ما له صلة بالروابط المءءقة للآجاجية والانسءام. وهي عادة من قسم الصرافم والءروف والأءوات اللسانیة الءی لیس لها معنی في ذاءها.  
2- العنصر المعءمی المرجعی الإءالی أي ما له صلة بالآهئقة الإءالیة على الءون وعلى هوئیاء الأشياء في مرجعها المءسء.

3- العنصر الآهیبی المقاصءی أي ما له صلة بءهه الآطاب ومقاصء المءءم. والءهات هنا بمعناها اللسانی ذی الأصول الفلسفية طبعاً.

4- العنصر الءءوءی الاسءءلالی أي ما بءقق اسءءلالیة الآطاب ووءءه.

إنّ هذه العناصر الأربعة هي بمثابة الرّوائز التي يمكن أن نتكّى عليها في ما اصطّلحنا عليه بقراءة الاكتشاف لمعالجة أيّ خطاب أو ملفوظ وللبهنة، وهذا أهمّ، على الحجاجيّة المتراوحة بين بنيته ودلالته. فقراءة الاكتشاف تخوّل لنا الحفر بهذه المعاول الأربعة للوقوف على المقصد الأسنى من الملفوظ، فالعنصر الأوّل أيّ العنصر الرّابطي الحجاجي يمكننا من اكتشاف الشّبكة العرفانيّة réseaو cognitيف التي سلكها المتكلم ليوقع المخاطب في شرك حجّته. إذ المتكلم أو صانع الخطاب ينسج نصّه وفق جملة من الرّوابط والعوامل الحجاجيّة التي تخوّل له في نهاية المطاف الوصول إلى شبكة خطاطيّة أو لنقل إلى هيكل وعمارة فنيّة يبسطها على المتقبّل فيجد نفسه في مواجهة هذه الشّبكة الأخطبوطيّة. لأنّ الرّوابط تحقق هذه الوظيفة بين الحجج وتزيد من قوتها الاقناعيّة. وأمّا العنصر المعجمي الإحالي المرجعي فهو يؤمّن ما له علاقة بصدقيّة الخطاب vériconditionnalité du discours وذلك بمطابقة المنجز اللّغوي للموجودات في الكون ومتصوّراتها في ذهن المتقبّل. وأمّا العنصر الجيبي المقاصدي فهو ثمرة للعنصرين السّابقين باعتباره حسن استعمال للرابطيّة والمرجعيّة وما تعلقّ بالآليات التي تحقق الإفصاح الصريح عن مقاصد المتكلم وغايته من منجزه اللّغوي وأمّا العنصر الأخير وهو ما اصطّلحنا عليه بالحدودي الاستقلالي فهو القرائن الدّالة على أنّ ذلك المنجز اللّغوي له حدود frontieres تحقق استقلاليتها الصناعيّة فهو كائن لغوي بذاته لا صلة له بالحق ولا بسابق. أيّ أنّه يمكن أن يكون كلاً تاماً. وفي سبيل بيان ما كتبا به من سبيل نقدّم المثال التّالي وهو مثال مصنوع للإجراء قبل أن نجري ذلك على خطاب كليلة ودمنة:

\*المثال: "دخل الأستاذ شكري المبخوت إلى القاعة 141 وضع محفظته على الطاولة وقال: "هل أعددت التّمارين التي أمرتكم بها في الحصّة الفارطة؟ من لم يقم بالتّمارين يغادر القاعة أرجوكم وبسرعة.

عز الدين النّاجح إلى السّبورة. ادرس الإضافة في الملافيظ التّاليّة (....) وليكن ذلك جدول (....) شكرا لك (....) إلى مكانك (....)".

ولتقسيم هذا الخطاب وإسناد ملافيظه إلى العناصر الأربعة المذكورة أعلاه نفتح أن تكون قراءته في جدول على النّحو التّالي:

العناصر الرّوائز Les éléments tests	الشّارات اللّسانيّة الدّالة على الرّوائز
العنصر الرّابطي الحجاجي	الواو: في "وقال .....". الواو: في "وبسرعة ....". الواو: في "وليكن.....".

المعاج بين الترتيب والدلالة من خلال قراءة مجازية للباب الخامس من تحليلة ودمنة — مجلة نصل (الطاب)

العنصر المعجمي المرجعي	شكري المبخوت، قاعة 141، اعددتم، تمارين الحصّة الفارطة، عزّالدين النّاجح، السّبورة، ادرس الإضافة، مكانك،
العنصر الجيبي المقاصدي	دخل وضع قال ← جهة خارجيّة مقصد خارجي <sup>(5)</sup> . هل أعددتم، أمرتكم، يغادر، أرجوكم: جهة ومقاصد داخلية. ادرس، ليكن، شكرا، إلى مكانك: جهة ومقاصد داخلية.
العنصر الحدودي الاستقلالي	" دخل الأستاذ شكري المبخوت.....إلى مكانك (...).

ولكي تتضح نجاعة المنوال في التحليل نقترح أن تكون قراءة الاكتشاف مسبارية مطبقه على المفصل الأول: والمتمدّ من قوله "إنّي وجدت في حديث دمنة" إلى قوله "الجرم العظيم والذنب الكبير" وهذا المفصل كما قلنا أنفا قام على وظيفة هي إعداد الملفّ القضائي والتّمهيد لمحاكمة دمنة فهو يكتسي وظيفة مهمّة من زاوية لسانية تداولية قوامها الإعداد لحيثيات التلقظ les circonstances de l'énonciation. وابرار لمقتضيات الاحوال التي ستكّيف الأقوال qualification des paroles كما يقول الاصطلاح القضائي (لامارينار 1976، برجال 2002، النّاجح 2013) وهي على العموم مقدّمة للمقام بمفهومه العامّ.

فهذا المفصل من النّص ينهض بدور مركزي قوامه التبرير لجلّ التّنتائج التي يمكن استخلاصها من المحادثات conversations الداخليّة في جلسات المحاكمة. وعليه فإنّه يمثّل المرحلة الأولى من حلّ المشكل تماما مثل التمرين الرياضي l'exercice mathématique إذا صلحت المرحلة الأولى في البحث عن النتيجة فإنّها، حتما، تمهّد لصالح المرحلة الثانية في حين أنّه إذا فسدت فإنّ بقيّة معالجة التّمرين ستؤول إلى الغلط. فهذا المفصل هو بمثابة مقدّمة الانطلاق proposition du depart على الاصطلاح البرلماني. وعليه يكون المفصل الأوّل متوزّعا على العقد<sup>(6)</sup> السردية الدلالية التالّية وهي ثلاث عقد:

1\* العقد الدلالية الأولى: وتمتدّ من قوله "إنّي وجدت في حديث دمنة" إلى قوله "وكان من أخصّ أصحابه عنده بعد الثور والنّمر". وهذه العقدة الدلالية ليس لها من صلة بالمفصل الأوّل، والوظيفة التي ينهض بها وهي إعداد ملفّ القضية ووثائقه؛ سوى ذكر "النّمر" باعتباره "موظّف دولة" fonctionnaire d'état في مملكة الأسد. فالنّمر سيكون من المقربين ومن أعضاء لجنة المحاكمة والتحكيم عندما نعالج النّص من قراءة الانكشاف وسينكشف طرحه الصّحيح من القضية. أمّا في قراءة الاكتشاف فهو مجردّ من كلّ صلاحية سوى كونه مشاهدا observateur لا مشاركا actant فعّالا وعن مشاهدته observation ستتفجّر العقد الموالية.

2\* العقد الدلالية الثّانية: وتمتدّ من قوله "فاتفق أنّه أمسى النّمر" إلى قوله "فاخبرها بما سمع من كلام كليلة ودمنة". ونهضت هذه العقدة الدلالية على تقديم الحيثيات

الواقعية بالفعل لا بالقوة في إعداد وثائق القضية والمتمثلة في معاينة "النمر" معاينة فعلية لسرائر دمنة وحقيقة العلاقة التي تجمعها بأحداث قتل شترية ظلما، وضلوعه في هذا الجرم القانوني باعتباره مدبرا للمكائد. وشهادته على نفسه بنفسه وشهادة كليلة عليه في حوار سيكون في يوم من الأيام الورقة الختامية والحجة القاطعة ضده في جلسة المداولة.

وفي هذا المفصل مشهد حجاجي رائع كان في شكل حوار بين كليلة ودمنة ظهرت فيه نجاعة محادثة كليلة التي زكاهها، علاوة على صدق الوقائع وهي حجر أساس في كل محادثة حجاجية صادقة، بقول العلماء "لأن العلماء قالوا تباعد ممن لا رغبة لك فيه وأنا جدير بمساعدتك والتماس الخلاص لي مما وقع في نفس الأسد من هذا الأمر" وعلى حجة السلطة هذه سيدخل طرف ثالث سيكون محملا support للحجة وهي أم الأسد التي حضرت خطابا ولم تحضر خبرا إلا في المفصل الثالث.

(...) وقبل المرور إلى الحديث في حدود العقدة الدلالية الثالثة ودورها في المفصل والباث بصفة عامة، نود الإشارة إلى لطيفة حجاجية سردية في أن تتصل بأسلوب عبد الله بن المقفع، قوامها أنه بمجرد أن انتهى كليلة من محادثته مع دمنة التي ختمها بـ "وقديما قال العلماء..." حتى انصرف النمر عن "التجسس" على الحوار الذي دار بينهما. وفي هذا إشارة إلى حكمة النمر وتزكية له وإن كان قد زكاه من قبل بقوله "وكان من أخص أصحابه عنده بعد الثور النمر..." كما أن في هذا إشارة ثانية إلى حكمة كليلة الذي نصح دمنة بقول العلماء الذي لا يقتضي إلا الإتيان والتطبيق فانتهت المحادثة بتطبيق ما قاله العلماء "... وأنا جدير بمساعدتك..."

3\* العقدة الدلالية الثالثة: وتمتد من قوله "فلما أصبحت دخلت على الأسد" إلى قوله "ولكنهم قد نهوا عن اغتفار الجرم العظيم والذنب الكبير". ولئن كانت العقدة الدلالية السابقة قد نهضت على ما اصطالحنا عليه بـ "إعداد وثائق القضية" فإن العقدة الدلالية الثالثة قد قامت على إجراءات تقديم ملف القضية وإيداعه في المحكمة عند الملك تحديدا. والقائم بعملية الإيداع هو أم الأسد التي كانت بطلا بالقوة فأصبحت بطلا بالفعل. بل إنها ستكون ذات صولات وجولات في محاوراتها الحجاجية سواء مع الملك أو مع دمنة. وقد غلب على هذه العقدة الدلالية المشهد الحوارية الذي فاضت فيه الوظيفة الحجاجية عن/على الوظيفة الإبلاغية. فالمقصد من اللغة في هذا المقام ليس إبلاغ الأسد بجرم دمنة وإنما المقصد الأسنى والأسمى هو محاولة إقناعه ومخاجته بضرورة القصاص منه ومعاقبته على شنيع فعلته.

وفي سبيل تحقيق هذا المقصد نقترح أن نتعمق في قراءة الاكتشاف على العقدة الدلالية الثالثة مستنيرين بالعناصر الأربعة التي اقترحناها في بداية الفقرة المتعلقة بمقومات القراءة الاكتشافية وهذه العناصر هي (العنصر الرباطي الحجاجي، العنصر المعجمي المرجعي،

المجاج بين التّركيب والدلالة من خلال قراءة حجاجية للبّاب السّادس من حليلة ودمنة — مجلة نصل (الطّاب  
العنصر الجيبي المقاصدي، العنصر الحدودي الاستقلالي) ولو بسّطنا الأمر أكثر لقلنا: كيف  
كانت العقدة الدّلالية الثّالثة من المفصل الأوّل دليلا على حجاجية خطاب كليل ودمنة عامّة  
وعلى البّاب السّادس منه خاصّة؟ أو لنصغ طرح السّؤال بطريقة أخرى فنقول ماهي  
الاستراتيجيات الخطابية التي تجعل الوظيفة الحجاجية للغة تتحقق اعتمادا على مستويي  
التّركيب والدلالة من خلال المشهد الحواري بين الأسد وأمه؟ الإجابة على هذا السّؤال يجعلنا  
نحض قراءة الاكتشاف على هذه العقدة من دون العقد الدّلالية الأخرى رغم ما بينهما من  
تناسل على سبيل الضمنيّات les implicites.

\*حيثيات تقديم المّلف ومحاورة أم الأسد للملك: الخطّة والخطاطة.

لبدّ من الإشارة أوّلا إلى أنّ أمّ الأسد تمثّل بطلا محورا في الخطاب كلّه وفي هذا المفصل  
تحديدا. واختيار الراوي لها ليس اعتباطيا إذ أنّ تقديم وثائق القضية ستتأثر بشخصية  
مقدّمها. من أجل ذلك لبّد من مزيد تشقيق هذه العقدة إلى نوايات دلالية دنيا mini-noyau  
sémantique وذلك اعتمادا على معيارالموقعية critere de composition:

\*نواة أولى: من قوله "فلما أصبحت دخلت على الأسد" ← "أبلغك شيء من هذا  
الأمر". وفي هذه النّواة تمهيد لتقديم الوثائق واستبطان نفسي للأسد قامت به أمّ الأسد حتّى  
تتمكّن من صرعه حجاجيا.

\*نواة ثانية: من قوله "فقال أمّ الأسد" ← "ولكنهم قد نهوا عن اغتفار الجرم العظيم  
والذنب الكبير".

لبدّ من التأكيد على مسألة مركزيّة في طرحنا الحجاجي المطبّق على الخطاب. وهو ما  
اصطلحنا عليه في أبحاث سابقة (عزّالدين التّاجح 2007، 2009، 2010) من كون أنّ الحجاج  
حجاجان: حجاج خارجي وهو ما تعلق بصلة المؤلّف بقارنه وحجاج داخلي وهو ما تعلق  
بالسّرديات والقصصيات والحواريات. فجملة من قبيل، "فلما أصبحت دخلت على الأسد  
فوجدته كئيبا حزينا مهموما لما ورد عليه من قتل شترية" تدخل في أطار الحجاج الخارجي  
المتعلّق بالعلاقة التي تجمع المؤلّف بالقارئ، وهي ممّا يمكن اعتباره من العناصر المساعدة في  
فهم الحجاج الدّخلي المتعلّق بالحوار الذي يجمع الأسد بأمه ولكنّ لسائل أن يسأل ما وجه  
الحجاج في الجملة المذكورة أعلاه؟

إنّ وجه الحجاج في الجملة يندرج في سياقين: سياق سردي وسياق نحوي لغوي. أمّا  
السّردية فمن جهة كونه ممهدا للمحادثة باعتباره اختزل مقام المحادثة وسياقها. وأمّا اللّغوي  
التّحوي فمن خلال البنى التّركيبية والوحدات المعجمية ومساهماتها في التّمهيد السّردية: فعبارة  
"حزينا مهموما" هي ما سيدفع بعجلة السّرد إلى الأمام. وهي ما سيسرّ guide المحادثة

الحجاجية. فهذه الحجاجية الخارجية التي اصطَلحنا عليها في مقامات أخرى "بالحجاجية الامتاعية" مقابل "الحجاجية الاقناعية" (انظر الناجح، 2014) هي ما سيمهد لبقية النص. وفي كلمة نقول إن وظيفة الحجاج الخارجي شدُّ القارئ وقوده إلى متابعة الأحداث. لذلك نلاحظ ورودها في ملافيظ قصيرة وإشارات مختصرة عكس ما هو عليه الأمر في المحادثة.

**\*خطة النواة الأولى وخطاؤها:**

يحسن بنا في هذا المقام من المقاربة، حتى يتضح للقارئ الكريم طريقة تطبيق المنوال، أن نقطع النواة الأولى إلى ملافيظ دنيا حسب معيار المتكلم على النحو التالي:

محاويرات الأسد وردوده	محاويرات أمّ الأسد وردودها
يحزني قتل شترية: إذا تذكّرت صحبته ومواظبته معي وما كنت اسمع من مؤامرتة واسكن إليه في مشاورته واقبل من مناصحته.	ما هذا الهمّ الذي أخذ منك وغلب عليك؟
إن صحّ ما تقولين فأني لم أقتل الثور إلا ظلماً، لأنني قد بحثت في نفسي فلم أجد إلا ما يدل على براءة شترية وقتله ظلماً وبغياً، مكذوباً عليه من الأشرار وإن كثرة البحث عن الأمور تحقق الحق وتبطل الباطل... وإن حديثك ليديل على مكنون أمر أقبلك شياً عن هذا الأمر.	إن كنت ترى أنّ لك في قتله فرجا فلا ينبغي لك أن تحزن. وإلا فقلبك يشهد أنّ عملك الذي عملت لم يكن صواباً ولا عدلاً. لأنّ العلماء قد قالوا: "إذا أردت أن تعلم عدوك من صديقك ففكر في نفسك فإن لم يكن قلبك له سليماً فاعلم أنّه لك كذلك". فانظر الآن وأنت في ذات نفسك هل ترى ضميرك يشهد لك أنّ الذي فعلته بالثور كان عدلاً أم ظلماً.

والشاهد على حجاجية المشهد الحوارية ونجاعته في السيرورة السردية هو ما تقره العناصر الأربعة ولكن قبل اجراء هذه العناصر الأربعة على الملفوظ الحوارية نريد الانطلاق من مصادرة وهي أنّ "أمّ الأسد" باعتبارها من قدّم أوراق القضية في اتهامها الضممي للثعلب دمنة؛ قد برهنت على كفاية حجاجية فاقت الأسد وذلك من خلال قيام ملافيظها على الخصائص التالية:

(1) شروعا بالاستفهام وهذا يعني أنّها لم تعطي أخباراً بل تطلب خبراً.

← ما هذا الهمّ الذي أخذ منك وغلب عليك.

ووظيفة الاستفهام ليس معرفة سبب غمّه وهمّه وإنّما هو استفهام للتأنيب والاستفزاز

له لينطلق في المكاشفة وهذا برهان دهائها الحجاجية.

(2) هيمنة الإنشاء على الخبر

المجاج بين الترحيب والدلالة من خلال قراءة حجاجية للباب السّاحس من حليلة وحمدة — مجلة نصل (الطاب

← ما هذا الهمّ.....	والإينشاء افصح للحجاجية في الملفوظ باعتباره يسمح بترجيح مقولة الصدقية في الملفوظ للأقدر على حدث التّوجيه كما أنّه أفصح على مفهوم القصديّة.
← إن كنت ترى	
← لا يبقى	
← فكّر في نفسك	
← فانظر وابحث	
← هل ترى	

3) ذيلها لمداخلتها، وهي بذلك تعضد وثائق القضية بأقوال الحكماء والعلماء باعتبارها حجة سلطة.

4) "احترامها" لحكم المحادثة كما صاغها قرايس<sup>(7)</sup>. فملافيظ أمّ الأسد أكثر انسجاما coherence، وإفادة من محادثات الأسد.

ولبيان ما كنّا منه بسبيل نخضع ملفوظ أمّ الأسد للإختبار في الجدول التالي:

الملفوظ المختبر		مبدأ التعاون القرايسي	
ما هذا الذي أخذ منك وغلب عليك؟	الحكمة الأولى: حكمة الكمية	الحكمة الثانية: حكمة الكمية والصدقية.	الحكمة الثالثة: حكمة العلاقة والإفادة.
	لا تسهب	لا تنطب	لا تغلب
ملفوظ أمّ الأسد حقق هذا الشرط لأنها لم تسهب قالت ما يجب قوله.	أمّ الأسد حققت هذا الشرط لأنها لم تغلب على الأسد من همّ وغمّ. ملفوظها شينا يعارض ما يوجد من الكون إذ فعلا التي وصفته.	أمّ الأسد حققت هذا الشرط لأنها لم تغلب على الأسد من همّ وغمّ. ملفوظها شينا يعارض ما يوجد من الكون إذ فعلا التي وصفته.	ملفوظ أمّ الأسد حقق هذا الشرط لأنها لم تسهب قالت ما يجب قوله.
الحكمة الرابعة: حكمة الطريقة والجهات.	1- الإبهام obscurité	خطاب أمّ الأسد ليس مهما (معجميا وتركيبيا ومقاما)	2- الغموض ambiguïté
ملفوظ أمّ الأسد ناجع مفيد نظرا لأنه لا يتعارض مع المقام ومقتضيات أحواله وهو، في كلمة، ليس من باب الحشو أو الزائدة. فهو يتماشى مع حالة الأسد فما قالت أمّ الأسد هو وهو فقط ما يجب أن يقال في تلك اللحظة، وهذا ملخص مفهوم الإفادة عموما وإن كان سريبار ويلسن جعل مبدأي الأثر العرفاني والمجهود العرفاني للبرهنة على إفادة الملفوظ وراثا لاختباره.	3- الإيجاز brièveté	خطابها موجز	4- الترتيب organisation /ordonnée/ordre

إنّ نجاح العمليّة التّواصلية من قبل أمّ الأسد قد كشف عنها منوال قرايس وحتى منوال ديكرولت وإفادته للقول فيه (...) الدليل على ذلك أنّها أربكت المخاطب الأسد

الذي سدّت أمامه كلّ المنافذ والنّوافذ لكي لا يتهرّب من الإجابة، لذلك هو نفسه في ردّه كان متعاوناً لكن للأسف فإنّه أخفق في الوصول إلى عمق خطاب أمّه ودهائها. فالأسد قد وقع فريسة لأمّه التي صرّعتة حجاجياً وذلك من خلال توجيهها لخطابها وله أيضاً نحو نوع من النتائج وهي افتكالك اعترافه واعتصار خلاصة ألمه وكأبته فكأني بها تقول له باللهجة التونسية العاصميّة "ملخرهات آش عندك" فانصلب على رأسه يهذي.... لك هي الأنثى ذكيّة شاطرة أمّا كانت أم أختا أم بنتا.... وفي ذلك إشارات. دغدغته بجملة واحدة فانصلب على رأسه... ولكن بعد هذا وقبله. لأنّ نجحت أمّ الأسد تعاونياً بالطرح القرابسي في ملفوظها يحقّق لنا أن نتساءل كيف نجحت حجاجياً؟ وبعبارة أخرى ما وجه الحجاج في ملفوظ الأم؟ وهو قولها "ما هذا الهمّ الذي أخذ منك وغلب عليك؟"

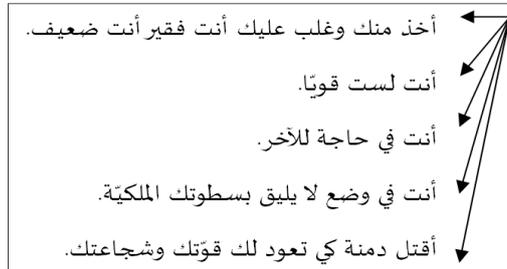
إنّه لمن نافل القول والتذكير بتصوّرنا للحجاج من كونه حركة mouvement تقود إلى فعل/حدث acte وهذا المفهوم طورناه عن ديكره الذي يحصر الحجاج في تعريف رائع من شدّة تجريده باعتباره توجيهها orientation. فكيف ظهرت الحركة والحدث والتوجيه، وكلّها تعريفات مجردة ابستيميا للحجاج؟ لقد كان هذا الملفوظ حجاجياً، على الأقلّ، في مستويين الأوّل يتعلّق بقوة القضية ونقصه وروده إنشاء في شكل استفهام وهنا وجب الوقوف على حجاجيّة "أسلوب الإستفهام"<sup>(8)</sup> باعتباره "طلباً" للمعلومة وللأخبار. ومستوى ثان يتعلّق بالبنى التحوّية الداخليّة باعتبارها لا تخلو من قصديّة حجاجيّة من ذلك البديليّة في "هذا الهمّ" والنعتيّة في "الهمّ الذي أخذ منك وغلب عليك" وهي نعتيّة مركّبة ومعقّدة في آن وليست نعتيّة بسيطة.

فهذا الملفوظ الافتتاحي في محادثة أمّ الأسد قد كان حجاجياً بامتياز لوروده في شكل استفهام وفي الاستفهام حركة وحدث وتوجيه لأنّه طلب والطلب يقتضي مطلوباً غير حاصل وإنّما يحصل بإرسال القول استفهاماً. والطلب حركة في اللّغة من الخبر إلى الإنشاء وحركة من الجهل إلى العلم وحركة من الصمت إلى الإعلان والإخبار. والطلب توجيهه باعتباره يوجّه المخاطب نحو نوع معيّن من التّنتائج وذلك من خلال جوابه على الاستفهام. إذ السّؤال هو الذي سيفرض على المخاطب الوجهة الحجاجيّة التي ستسمح للمحادثة إمّا بالمواصلة continuité أو الانقطاع rupture ثمّ إنّه أليس الحجاج في حدّ ذاته طلب بالمعنى الإنشائي للطلب إنّه طلب المتكلّم للمخاطب بأن يكون هو هو لا انفصام بينهما أو بعبارة أخرى إنّه طلب من المتكلّم للمخاطب بأن يشاركه أطروحته التي سواء أصرّح بها أم ضمّتها. فأمّ الأسد حينئذ قد حاصرت الأسد بالإنشاء وحرمته من الخبر الذي ستكرمه به في لاحق المحادثة وهي بمحاصرته بالإنشاء قد جعلته يفلت من زمام عقله ليبيوح بمكنونه إليها لذلك كان السّؤال الأوّل بمثابة تقديم للوثيقة الأولى للقضيّة، أمّا الشّاهد الثّاني، ولنستعمل مصطلح "الرائز"، على حجاجيّة ملفوظ

العلاج بين الترتيب والدلالة من خلال قراءة حجاجية للباب السادس من تحليل وحمنة — مجلة نصل (الطاب) أمّ الأسد ونجاعته فهو ما يتعلّق بالبنى التحوّية والجوانب التركيبيّة في ملفوظها. وليس يخفى أنّنا نتبّئ منذ 2004 أطروحة ديكرو وانسكومبر في 1983 وريبول وموشلار في 1997 حيث يقرّ جميعهم، ونحن معهم، أنّ البنية اللسانية/اللغوية تساهم في البرهنة على حجاجية الملفوظ وقد إدعى "انسكومبر" 1987 أنّ الوظيفة الحجاجية مركوزة في البنية المجردة في الملفوظ، بل بالغ في ادّعائه فقال إنّ البنية المجردة للملفوظ هي المسؤولة على تحقيق الوظيفة الحجاجية في اللّغة وهي القادحة للدلالة الحجاجية التي تنبثق عنها جميع الوظائف والدلالات الأخرى للغة.

والرأي عندنا أنّ ملفوظ أمّ الأسد "ما هذا الهمّ الذي أخذ منك وغلب عليك" هو ملفوظ حجاجي بامتياز وذلك من خلال ما ينتجه من ضمنيات implicites بأقسامها. لا سيّما وقد صبّ في قالب جملة اسمية ومعلوم أنّ الجملة الاسميّة متمخّضة لدلالات خاصّة (انظر النّاجح 2010). فهي متمخّضة لصوغ الحقائق الكبرى والمبادئ العامّة وكأنيّ بأمّ الأسد باستعمالها للجملة الاسميّة تريد أن تنبّه الأسد إلى أنّ ما تقوله هو من باب الحقائق والمبادئ العامّة (...) التي لا يحقّ له دحضها. فهو مهموم مغموم مغلوب وفي ذلك دفع له إلى الصدق ومصارحتها حتّى لا يكذب أو يلبس قناع المراوغة.

وأما الضمنيات فإنّ المسؤول عنها الوحدات المعجميّة التي، حسب رأينا، هي الموجّه الثاني للنتيجة الحجاجية. فأمّ الأسد قد اشتغلت كما يقول الأسلوبيون على مبدأ الاختيار choix ففي استعمالها [همّ] لعبت على أسلوبية التّوقيع الذي غايته التأكيد والتوكيد، وذلك من خلال اتكائها على المركّب البديلي "هذا الهمّ" ومعلوم أنّ البديلية تقوم على التّعويض، تعويض المبدل منه للبديل ولهذا الضرب من المركّبات مظاهر حجاجية عديدة لات وقت حديث عنها.... ولكن دهاء la ruse أمّ الأسد يبدو أكثر وضوحا في قولها "أخذ منك وغلب عليك" فهي بملفوظها هذا جعلت الأسد في وضع افتقار "أخذ منك" ووضع ضعف "غلب عليك" والملوك لا ترضى بأن توصف بهذا الوصف وإن كانت حقيقتها كذلك: ويمكن للشكل التّالي اختزال ما كنّا منه بسبيل.



على هذه الضمنيات لعبت أمّ الأسد لكي تصرع ابنها وتوقفه على حقيقته مستثمرة في ذلك وضعيّة المحادثة situation/circonstance de conversation، ولكثّمها مستثمرة في ذلك أيضا بعدين لا بدّ للحدث الحجاجي النَّاجح أن يقوم عليهما. وهي مخاطبة المتكلّم في بعدين: البعد الواقعي réel/véridique، والبعد العاطفي واللاوعي فيه. لأته إذا استيقظ اللاوعي فإنّه يساهم في إنجاح المحادثة الحجاجيّة. ويمكن أن يبيّن في هذا الشّكل:

ما هذا الهمّ	الذي	اخذ منك وغلب عليك.
حجج واقعيّة عيانيّة		عاطفيّة، استفزازيّة محرّكة للوعي.
لا ينكرها الأسد لأتّها		وصادمة لوعيه، مدغدغة لإنويته.
حجج ماديّة محسوسة.		

على هذا النّحو كانت محادثة أمّ الأسد ناجحة استوفت شروط نجاحها محادثيا وحجاجيا وقد شهد على نجاحها وعلى صدقيتها ونجاحتها الخطابيّة، ردّ الأسد الذي يمكن اعتباره ثمرة ونتيجة مباشرة لها. فلو كانت محادثتها غير صدقيّة وغير صادقة وغير ناجحة لما ردّ الأسد ولما "انصلب على رأسه". فردّ الأسد حينئذ دليل آخر على نجاح أمّه في محادثتها فلو كانت محادثتها غير ناجحة لما ردّ أو لكان عنيفا معها. وقد قال ديكرود من قبل "إن القطيعة الحجاجيّة في المحادثة تقود إلى العنف" (1997).

لكن هل كان الأسد ناجعا في ردّه؟ قبل أن نجيب على هذا السّؤال نرجئ الإجابة إلى حين ونقترح عرض محادثة أمّ الأسد على مسبار منوالنا في التّحليل. وذلك باختبار ملفوظها اعتمادا على عناصر منوالنا الأربعة وهي [عنصر الرابط الحجاجي، العنصر المعجمي المرجعي، العنصر الجيبي المقاصدي، وأخيرا العنصر الحدودي الاستقلالي] فعلى هذه العناصر الأربعة المؤسّسة لمنوالنا التّظري في البرهنة على الحجاجيّة من جهة والانسجام من جهة ثانية، سنروز قول أمّ الأسد "ما هذا الهمّ الذي اخذ منك وغلب عليك" وفي سبيل تحقيق ذلك نقترح الجدول التّالي كمعطى انطلاقي ثمّ نخلص إلى قراءته واستنتاج ما توقّره لنا قراءته.

المجاج بين التّرحيب والدّلالة من خلال قِراءة حجاجيّة للبابج السّادس من حليلة وحمدة — مجلة نصل (الطّاب

العناصر الرّائزة			الملفوظ المختبر
ع(ح.أ)	ع(م.م)	ع(ج.م)	ع(ر.ح)
هذا الكلام مستقل بذاته	*الهمّ	*الاستفهام	*اسم الاشارة
مكتف بمعناه ليس في حاجة	*اخذ منك	*الاستخبار	*الواو
إلى زيادة توضيح له حدوده.	*غلب عليك	*الاستنكار	*اسم الموصول *النعنيّة

إنّ هذا الجدول أعلاه يبيّن أنّ كلام "أمّ الأسد" هو كلام حجاجيّ بامتياز من خلال اختياره على عناصر المنوال الأربعة. فلا حشو فيه ولا غموض بل إنّه "يقطر" مقاصديّة intentionnalité وهي مقاصديّة حجاجيّة. الغاية منها محاجة الأسد واحرجه تماما مثل استنطاق المجرم في مخافر الشرطة فأمّ الأسد حاذقة حجاجيًا سيّجت ملفوظها فجعلته مستقلا لا زوائد فيه وبذلك حققت الهدف من الركن الأوّل في المنوال وهو ما اصطلاحنا عليه بالعنصر "الحدودي الاستقلالي". فهي خبيرة بما يمكن أن تفتحه الزوائد من مشاكل في التّأويل. وهي تذكّرنا بمنوال "الامتحانات على الطريقة الأمريكيّة" التي قوامها الإجابة بـ"نعم" أو "لا". والإجابة هي أن تعرف أو لا تعرف. ثمّ زكّت هذا العنصر بالاشتغال على الركن الثاني الذي اصطلاحنا عليه بالعنصر الجبهي المقاصدي فإذا هو موجّه نحو وجهة تساعد على قول الحقيقة مباشرة دون مراوغة أو لفّ وبذلك يتيسر لها "أمّ الأسد" والمتقبّل من بعدها، سير حقائقه لتظفر بالنتيجة التي تطلّما وقد وقرّ لها الاستفهام استخبارا واستنكارا عبر الأمر ضمنيًا (قل لي الحقيقة). ثمّ أردفت هذين العنصرين بالركن الثالث وهو ما اصطلاحنا عليه بالعنصر المعجمي المرجعي وهو بمثابة الشحن للقوالب الذهنيّة الاستدلاليّة بوحدات معجميّة خاصة مؤيّدة للمعنى موصلة له تناسب وتلك القوالب الذهنيّة الاستدلاليّة. وكان الحقلان المعجمي والدّلالي والوحدات الراجعة إليهما خير رائز لذلك {الهمّ# غلب# عليك# أخذ# منك}... ثمّ زكّت محادثتها بالركن الرابع والأخير وهو الركن الفاضح لحجاجيتها وهو عنصر العوامل الحجاجيّة وهي متنوّعة المستويات فيها الصرفي الحرفي وفيها التّركيبي وفيها غيرهما...

على هذا النّحو تكون محادثة "أمّ الأسد" هادفة ناجعة مقيّدة pertinente حجاجيّة بامتياز. argumentative par excellence و الدليل على ذلك كما قلنا أنفا "ردّ الأسد" وتفاعله interaction مع المحادثة فلو لم تكن كذلك ناجعة ناجحة لما ردّ. لكن لنعد إلى السؤال، المذكور أعلاه هل كان ردّ الأسد ناجعا ناجحا صادقا؟ للإجابة على هذا السّؤال، ضمن منوالنا الذي نقترح، وجهان: وجه بسيط ووجه معقد. أمّا الإجابة من خلال الوجه البسيط فإنّ ردّ الأسد كان ناجحا هو أيضا، لأنّه سمح للمحادثة بأن تتواصل وسمح للطرف الثاني في المحادثة بأن

يتفاعل مع قوله. ويعقب عليه، لذلك عادت أمّ الأسد للمشاركة في المحادثة وتأثيرها وإغنائها ولو لم يكن ردّ الأسد ناجحاً، لكانت ثمّة قطيعة محادثيّة *coupure conversationnelle* ولما واصلت أمّ الأسد مشاركتها في المحادثة. وفي كلمة نقول: لو لم تكن محادثة الأسد ناجحة، لتحوّل النّشاط التّلقّظي إلى عنف *agression* على حدّ عبارة "ديكرو" لأنّه عندما ينتهي الحجاج أو يفشل يكون العنف والقطيعة والاتّواصل بديلاً وبُديلاً ليس منه بدّ.

وأما الوجه الثاني فإنّ الإجابة عليه تُثبت عكس ذلك. ولذلك نعتناه بالوجه المعقّد للإجابة لأنّه يستدعي منّا برهنة واستدلالاً لسانياً علمياً على فشل الأسد في دوره على "أمّه المتحيّلة" التي يبدو أنّها تقود حبل المحادثة وتوجهه أنّ شاءت وما هو إلاّ دمية متحركة في يديها. فما وجه الفشل في محادثة الأسد؟

إنّ فشل الأسد يمكن البرهنة عليه من خلال القرابسيّة ومن خلال منوالنا الذي نصوغ. أمّا فشله من خلال القرابسيّة فإنّه قد خرق أغلب قواعدها وحكّمها. فهو قد كسّر حكمة الكميّة حيث أنّه، كميّاً، لم يراع الموازنة بينه وبين محادثة "أمّ لأسد" التي كانت ناجحة قد راعت قاعدة الكميّة فلم تسهب ولم تطنب وهو قد كسّر حكمة الكيفيّة أو الصدقيّة ببعديها (قل الحقيقة+لا تقل كذبا) حيث أنّ مأتى حزنه الحقيقي ليس قتل شترية وإنّما هو تززع سلطانه واستغفال دمنه له... كما ترى أنّه لم ينجح في حكمة الطريقة بأبعادها الأربعة (الإبهام *obscurité* ، الغموض *ambiguité* ، الإيجاز *brieveté* والترتيب... *ordre/organisation*) علاوة على الحكمة الرابعة حكمة الإفادة. حيث أنّ خطابه لم يكن مفيداً إفادة دقيقة. على أنّه رغم فشله تبقى محادثته دون مستوى محادثة أمّه. فهو يتكلّم دون مراعاة الطرف المقابل في المحادثة ودون مراعاة للمقتضيات لذلك فشل وترك لأّمّه قيادة المحادثة.

وأما فشله من خلال منوالنا الذي نصوغ فإنّ العناصر الأربعة لم يكن حضورها حضوراً ناجحاً ناجعاً وظيفياً. فالعنصر الرّابطي الحجاجي كان أحادياً حيث لم يستعمل إلاّ [الواو] في كامل محادثته وعملت على العطف فقط في أربعة مواضع دون سواها. فكان حدث التّوجيه ضعيفاً نظراً لأحادية الرّابط ونمطيّة وظيفته العطفية، على أنّ هذه [الواو] العاطفة قد حققت حدّاً أدنى من التّوجيه الحجاجي الذي ضمن على الأقل كما قلنا أنّها حجاجيّة الملفوظ. وأمّا الرّائز الثاني لفشله حجاجياً فهو ما يبرهن عليه العنصر المعجمي المرجعي حيث ركن الأسد إلى معجم مزدوج المحور محور يدينه ومحور يجعل سامعه يمشق في خانة المشفق عليه فالمحور الأوّل فيه مفردات من قبيل {قتل، اسمع، مؤامراته} والمحور الثاني فيه كلمات من قبيل {تذكّرت، مواظبته، مناصحته} فالأسد في محادثته قد اتكأ على معجم يدينه ويجعله

العلاج بين الترحيب والدلالة من خلال قراءة مجازية للباب السادس من تحليلة وخدمة — مجلة نصل الخطاب  
ضعيفا تماما كالمجرم الذي أصبح يستعمل كلمات أملاها عليه تأنيب ضميره ليقع فريسة  
للبحاث الذي بصدد استجوابه...

وأما ثالث الأدلة فهو ما تعلّق بالجهة والمقصد في محادثة الأسد فالأسد قد غلب على  
خطابه الاعتراف الضمني بفعلته بل واثبت ندمه على نفس الجهة من خلال المقتضيات  
والاستلزمات.

ويبقى العنصر الرابع عنصرا قارا توفق فيه الأسد منضبطا. فكانت محادثته لها حدودها  
واستقلاليتها غير ناقصة ولا خديجة.  
خاتمة الطواف:

يحلولنا في خاتمة هذه القراءة الحجاجية لومضات من الباب السادس من كتاب كليلة  
ودمنه لعبد الله بن المقفع أن نلمح إلى المسائل التالية نقترح أن تكون على محورين محور البنية  
والدلالة في ضوء المنوال الحجاجي الذي اجتمدنا في الاشتغال عليه عسى أن يستفيد منه زملاؤنا  
الباحثون وأبناؤنا طلبة الدراسات العليا.

1/ إنّ الحجاج في المنوال التداول سيميائي ليس الغرض منه ضمان إذعان المخاطب  
وتسليمه على غرار ما قال بيرلمان وتيتكاه ومن بعده "ديكرو" و"انسكومبر" ومن بعدهم "ماير"  
و"قرايس" و"قرتندورست" و"ايميران" فهذا الفهم للحجاج في رأينا فهم سطحي له موضعيته  
الأوروبية التي يحركها في اللاوعي مقولة المركزية egocentrisme والأناوية égoïsme وإنّما الحجاج  
في تصوّرنّا إنّما الغرض منه هو أن تتحد الذاتان ذات المتكلم وذات المخاطب فيصبحا واحدا.  
ولا عدوّ لهما ولا خصيم سوى البحث عن الحقيقة الكلية المشتركة. لذلك قلنا إنّ غاية الحجاج  
هو إنهاء الحجاج وذلك عند الوصول إلى الحقيقة معا.

2/ إنّ المنوال التداولي سيميائي في مقارنته الحجاجية للخطابات يرتكز على دعامين  
الأولى دلالية والثانية بنيوية، وهل يمكن أن نتخلص من البنيوية في مقارنة الظواهر على  
اختلافها؟ كما يقوم على أربعة عناصر هي بمثابة الرئز لاختبار حجاجية الملفوظ والخطابات  
عامّة وهي: العنصر الرابطي الحجاجي، العنصر المعجمي المرجعي، العنصر الجيبي المقاصدي  
والعنصر الحدودي الاستقلالي كلّها تتعاقد للبرهنة على حجاجية الملفوظ وتماسكه ونجاعته .

3/ إنّ النصّ المختبر من عيون مدونة السرديات في الأدب العربي المترجم كان فيه جهد  
عبد الله بن المقفع مترجما حجاجيا لا يقلّ عن جهد بيدبا الفيلسوف خاصّة فيما يتعلّق بمقول  
قول الابطال وتبيئتها في الحضارة العربية الإسلامية، إذ قلّما لم يعد ابن المقفع إلى الركون إلى  
قول العلماء حتّى اضحى عنده تركيبا لغويا مميّزا له، منحصرا في قوله "وقديما قال العلماء ...  
وقد قال العلماء ..... وقد قال أهل العلم" ...

4/ إنّ حجاجة الخطابات السردية على اختلاف توجهاتها أنواعا وأجناسا تكمن حجاجيتها حسب منوالنا التداول سيميائي في تلك المراوحة الناجعة والهادفة pertinente بين ما يوقره التركيب من أثر على المعاني وبين ما توقره الدلالة من إمكانات في إغناء تلك المعاني. ويؤيد هذا الطرح ثنائية الخبر والخطاب إذ لكلّ منهما مظهر حجاجي خاصّ نوصّل لهما بالحجاج المطبوع وهذا متعلّق بالخبر والحجاج المصنوع وهذا متعلّق بالخطاب.

5/ إنّ الحجاج في كتاب كليله ودمنة من خلال الباب السادس هو حجاج مداره عقل العقل والتّحري في الحقائق والكليات العامة في سبيل الوصول إلى تلك الحقائق وصولا آمنا من شبهات الهوى ونزقه وتمهيمات. لكلا الطرفين على حدّ السواء فيقف المتكلم الباث والمخاطب المتقبل مشتركين في الهمّ الأوحّد إلا وهو التّعاون التزيه والشفاف للوصول إلى الحقيقة بأنواعها وبمختلف مستوياتها... إلا تكون مدينة عبد الله بن المقفّع مدينة إذا لم نقل إنّه المدينة الناطلة.

### مراجع البحث وإحالاته:

1. في 2004 أنجزنا بحثا عنوانه "العوامل الحجاجية في اللغة العربية" تحت إشراف الأستاذ الرّاحل عبد الله صولة وفي 2010 ناقشنا رسالة الدكتوراه بعنوان "الحجاج في الخطاب القانوني" تحت إشراف الأستاذ خالد ميلاد وفي سنة 2014 صدر لنا كتاب عنوانه "تداولية الضمني والحجاج بين الملفوظ وتحليل الخطاب" الكتاب قد قدّمه وراجعاه الأستاذ الصّديق منصف عاشور وصدر عن مركز النّشر الجامعي.
2. نلفت نظر القارئ الكريم إلى أنّه لبدّ من الفصل الدقيق بين المصطلحات التالية: الحجاج والإقناع والسّجال والاستدلال.... الخ.
3. انظر الليلة الثامنة من الإمتاع والمؤانسة والمناظرة مشهورة جدًا.
4. نستعمل مصطلحي "خطاب" و "نصّ" بما هما مترادفان وإن كنّا أشرنا في أبحاث سابقة إلى فرق ما بينهما منذ ميشال بيثي في كتابه "التّحليل الأوتوماتيكي للخطاب" 1969 ومقال جيسبان في 1971.
5. نقصد بالجهة الداخلية المتعلّقة بجهة الأفعال المسندة داخل الخطاب بغضّ النّظر عن المخاطب في حين أنّ الجهة والمقاصد الخارجيّة في ما تعلّقت بالمخاطب والتي يبريد المتكلم التأثير بها في المخاطب. ففعل دخل ووضع وقال ثبتت جهتيًا ومقاصديًا خارجيًا جديّة الأستاذ وهي تتفق تماما مع جهة ومقاصد الأفعال الداخلية و..(لمزيد الإطلاع عد إلى صولة 2012، والنّاجع 2012).
6. انظر مفهوم العقد الدلالية في (عزّالدين النّاجع).
7. تعميقا للفائدة نوّد التذكير بمجهود المنطقي اللّامع جون بول قرابيس. الذي استفاد من التّحليلين باختلاف اتجاهاتهم من فريجة وكرناب وفتقنشتاين وذلك عندما استنتج أنّ المحتوى القضوي لبعض الملافيظ في كثير من الاحيان يتعارض مع مقام الاستعمال من أجل هذا استنبط مفهوم "مبدأ التّعاون principe de cooperation" الذي من أهمّ وظائفه أنّه يساهم في ردم الهوة بين المحتوى القضوي وحقيقة مقتضى الحال. ولا يكون هذا التّعاون إلا من جانبين هما المتكلم/الباث والمخاطب. ولكن يقع التّعويل بصفة أكبر على الباث المتكلم. لذلك يفسر موشلار وريبول هذا المبدأ قائلين "التّعاون عند قرابيس، هو مساهمة المتكلم في المحادثة لإرضاء وتلبية الشّروط المطالب بها من موقعه في المحادثة حتّى تأخذ وجهتها التي يجب أن تأخذها في سبيل

## الحوار بين الترحيب والدلالة من خلال قراءة مجازية للباب السادس من تحليل وخدمة — مجلة نصل الخطاب

مساعدة المخاطب في التقدّم في الحدث الحوارى وقد بنى قرايس هذا المبدأ على أربع حكم أو قواعد سمّتها: حكم المحادثة maximes de conversation وهي أربع حكم لكلّ حكمة مبادئها:

1- حكمة الكميّة: maxime de quantité وتتعلّق بالجانب الكميّ من المعلومات والقضايا التي يرسلها المتكلم وفيها مبدأن:

1-1- ليكن ملفوظك/إجابتك/مقترحك/مداخلتك: تلبّي المطلوب والمطلوب فقط من المعلومات. (دعوة ضمنيّة للإسهاب).

1-2- ليكن ملفوظك/إجابتك/مقترحك/مداخلتك: خاليا من الحشو والمعلومات الزائدة غير المفيدة التي من شأنها أن تحوّل وجهة المحادثة. (دعوة للاقتصاد).

2- حكمة الكيفيّة maxime de qualité وهي متعلّقة بصدقيّة veridicité ونزاهة المتكلم وفيها مبدأن:

1-2- لا تقل ما تعتقد أنّه غير صحيح (قل الحقيقة).

2-2- لا تقل ما تعجز على البرهنة على صدقيته وما لا تملك أدلة على صحّته (لا تكذب).

3- حكمة الإفادة/النّجاعة/العلاقة maxime de relation وهي متعلّقة بقيمة valeur المحادثة في خضم الحوار بأكمله، وفيها مبدأ واحد:

1-3- كن مفيدا كن ناجعا تحدّث في صلب الموضوع.

4- حكمة الطريقة maxime de manière/mode وهي متعلّقة بالأسلوب والإنجاز اللّغوي وفيها أربعة مبادئ:

1-4- تحاشى الإبهام والعموميات.

2-4- تحاشى الغموض ambiguité .

3-4- كن موجزا لا تسهب كثيرا.

4-4- كن مرتّبا.

هذه إذا هي مبادئ حكم المحادثة المتفرّعة عن مبدأ أسامي هو مبدأ التّعاون بما له وعليه...

8 . راجع ما قاله ميلاد 2001 معوّلا على الجرجاني والسّكاكي وما قاله صولة معوّلا على الزركشي والسّيوطي في الاستفهام.